

أدب الطفل وتاريخه

بن شيخة آمال*

إشراف: د. حضري سمية**

تنوعت الظاهرة الأدبية واتسعت بفضل التطور والصيرورة والتحول والرؤية الابداعية وظهر منها ما ينتهي إلى صنف الأطفال، فقد حاول النقاد رسم أدب جديد كفرع من الأدب وهو أدب الأطفال، سواء في طبيعته أو مصادره أو غاياته، مما يساهم في وضع حدود لهذا الأدب الجديد، وتتنازع مسؤوليته المؤسسات والأفراد، ويتحمل أعباءه الأدباء والمربون ورجال الإعلام والمجتمع.

فما هو أدب الطفل؟ وما هو مضمونه؟ ومن كان سابقا إليه؟ الغرب أم العرب؟

ومتى اهتمت الجزائر بهذا النوع من الأدب؟

ومن أجل ذلك اتبعت في مقالي هذه المنهج التاريخي لتتبع مسار أدب الأطفال.

1. مفهوم أدب الأطفال:

أدب الطفل حقل متميز من حقول الكتابة، فهو فرع من فروع شجرة الأدب الكبرى، وينطبق عليه ما ينطبق على الأدب من تعريفات، إلا أنه يتخصص في مخاطبة فئة معينة من المجتمع، وهي فئة الأطفال، وقد يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار تبعاً لاختلاف العقول والإدراكات، ولاختلاف الخبرات نوعاً وكماً.

وقد وردت تعريفات عديدة لمعنى الأدب منها ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية فيما يخص معنى الأدب، إذ كان يدل في الجاهلية وفي الإسلام على الخلق النبيل وما يتركه من أثر في الحياة العامة والخاصة، وهناك قول مأثور جرى مجرى الحديث هو "كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين"¹ وقد ورد في لسان العرب لابن منظور "أدب": "الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس وسعي أدباً لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مدعاة ومأدبة"².

وأدب الأطفال فرع من فروع الأدب وقد وردت تعريفات عديدة حوله، فيرى الأستاذ نعمان الهيتي أن "أدب الأطفال هو أدب مستحدث وفرع جديد من فروع الأدب الرفيعة، إذ يمتلك

* طالبة دكتوراه بجامعة بلحاج بن شعيب - عين قوشنت.

** أستاذة بجامعة بلحاج بن شعيب - عين قوشنت.

Abstract : I dealt with in this article of children's literature as a branch of literature , a special field of writing fields addressing the distinct class of society , a group of children , what children's literature? It was a race to the West or the Arabs?

Through this dilemma it has taken a starting point to see what children's literature , and keep track of this literature historic track in the West and the Arabs , and later touched on the aims of this genre.

Keywords: children's literature , history of literature , Aesthetic Approaches

¹ محمد حسن بريغش، أدب الأطفال تربية ومسؤولية، دار الوفاء، القاهرة، 1992، ص 119.

² ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صار، بيروت 1994، ص 206.

خصائص تميزه عن أدب الكبار، وهو إبداع مؤسس على خلق فني، ويعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة ميسرة فصيحة، تتفق والقاموس اللغوي للطفل، بالإضافة إلى خيال شفاف غير مركب، ومضمون هادف متنوع، وتوظيف كل تلك العناصر، بحيث تقف أساليب مخاطبتها وتوجهاتها لخدمة عقلية الطفل وإدراكه، كي يفهم النص الأدبي، ويحبه ويتذوقه، ومن ثم يكتشف بمخيلته آفاقه ونتائجه.¹

وغير بعيد من هذا تعرف الأدبية هدى محمد قناوي أدب الأطفال على أنه "كل خبرة لغوية لها شكل فني . ممتعة وسارة، يمر بها الطفل ويتفاعل معها، فتساعد على إرهاف حسه الفني، وتسمو بذوقه الأدبي، ونموه المتكامل، فتسهم بذلك في بناء شخصيته وتحديد هويته، وتعليمه فن الحياة"،² وتلك الخبرة اللغوية التي يتفاعل معها الطفل لابد أن تكون ملائمة له حسب عمره وقدرته على الفهم والعصر الذي يعيش فيه.

ويعتبر الكاتب محمد حسن بريغش أدب الأطفال على أنه "النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم والتذوق وفق طبيعة العصر، وبما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه".³

إذن فكل التعاريف المطروحة تجمع على ضرورة أن يكون للأطفال نوع من الأدب خاص بهم، وموجه إليهم، وفي هذا تأكيد على ضرورة اختيار المادة المقدمة للأطفال بعناية تامة، ليقبلوا على دراستها، وهم مدركون بأن هذه المادة قد كتبت خصيصا لهم، كما ينبغي أن تخضع الكتابات الموجهة للأطفال لمعايير محددة تتمثل في جودة المادة وجمال الأسلوب، وملاءمة المادة لذوق الأطفال، ومستوى نضجهم ونموهم.

فأدب الأطفال هو صورة فنية فائقة الروعة والجمال، تجمع بين الواقع والخيال، مقدمة لفئة خاصة، يتميز بسهولة اللفظ والبيان، ليغرس قيما نبيلة، بأساليب بسيطة، تتلاءم مع شخصية الطفل البسيطة بقاموس لغوي مناسب لسنه.

وبذلك يمكننا القول بأن أدب الأطفال صورة مبسطة من أدب الكبار حتى تلائم الأطفال ويستطيعون فهمها، لتشبع حاجاتهم النفسية وتسهم في تكييفهم مع المجتمع وتنمي خيالهم فالأدب يصور "أفكاراً وإحساسات أصيلة تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكالا كالقصة والشعر والمسرحية والمقال والأغنية".⁴

ونظراً لأنه إنتاج عقلي معد للأطفال فهو يخاطب عقل الطفل وبالإضافة إلى ذلك فهو وجداني ويخاطب وجدان الطفل ويؤثر فيه بالإيجاب والسلب .

2. المسار التاريخي لأدب الأطفال:

¹ ينظر: هادي نعان الهيتي، أدب الأطفال فلسفته، فنونه، وسائله - ط1، دار المطبوعات الجديدة، 1984، ص 71 .

² هدى محمد قناوي، الطفل وأدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994، ص 11 .

³ محمد حسن بريغش، أدب الأطفال، أهدافه ووسائله، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م، ص 46 .

⁴ هادي نعان الهيتي، أدب الأطفال. فلسفته، فنونه، وسائله، ص 72 .

ولو تتبعنا تاريخ تطور أدب الأطفال نجد أن القصة بدأت وتطورت عند الإنسان الأول حين بدأ يفكر في الظواهر المحيطة به كالموت والمرض والطبيعة ومظاهرها، حيث أخذ يبحث عن أسباب وحلول لكل ما يراه، ومن هنا ظهرت الأساطير " وأول القصص المكتوبة التي عرفتها البشرية هي القصة المصرية المكتوبة على ورق البردي* " كقصة إيزيس " التي غاب عنها زوجها " أوزوريس " فأخذت تطوف البلاد بحثاً عنه إلى أن وجدت أشلاءه وكل قطعة من جسده في منطقة فجمعت أشلاءه وفاء منها وإخلاصاً له¹.

وتطورت هذه القصص على مر التاريخ وتناولتها الأجيال ودخلت هذه القصص في تربية الأبناء، ولهذا فقد ارتبط أدب الأطفال ارتباطاً وثيقاً بالأسرة متمثلة في الجد والجدة والأم والأب حيث كانوا ينشدون لأطفالهم الأناشيد لأن الأناشيد لها علاقة وثيقة بالتربية.

وعندما تشكلت القبائل أخذ أدب الطفل يجاري طبيعة هذا اللون الجديد، فظهرت الأساطير والقصص التي تناقلتها الأجيال، فكانت تمثل خلاصة تجارب الإنسان في الحياة دفع إلى نقله لأبنائه الرغبة في تقليده، كما أن طبيعة الحياة القاسية في الصحراء العربية في العصر الجاهلي كانت سببا في ظهور هذه القصص والأساطير والخرافات والمغامرات، ولكن الإنسان لم يراع في صياغتها تلاؤمها مع خصائص الطفولة ومميزاتها، وقد تضمنت أكثر الحكايات والخرافات التي صاغت الإنسانية عبر تاريخها المديد على مواعظ جافة وعبر قاسية وتوجيهات كثيفة².

غير أن هذه الحكايات والخرافات كانت النواة الأولى التي اعتمد عليها أدب الأطفال عندما نشأ حديثاً، مع محاولة مراعاة خصائص الطفولة مع التقدم في أدب الأطفال والاتجاه نحو النضج .
- أدب الأطفال عند الغرب:

يتفق معظم من اهتموا بالتاريخ لأدب الأطفال في العصر الحديث على أن فرنسا كانت رائدة هذا اللون الأدبي، ففي القرن السابع عشر ظهرت أول مجموعة قصصية للأطفال بعنوان "حكايات أمي الإوزة"، والتي ألفها الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو "Charles Perrault"، وهو الأمر الذي يؤكد موفيق مقداي بقوله: "يجمع الباحثون على أن أدب الأطفال في العصر الحديث ظهر في فرنسا، في القرن السابع عشر، على يد الشاعر تشارلز بيرو العام 1696 م.

فقد كتب ثمان قصص خيالية للأطفال (...). وسجل بيرو بهذا نقطة البداية لأدب الأطفال المدون في العصر الحديث"³، وقد لاقت نجاحا باهرا مثل: قصة سندريلا، الجميلة النائمة، ذات القبة الحمراء... وغيرها من القصص، وقد شجع هذا النجاح تشارلز بيرو على إصدار مجموعة أخرى من القصص بعنوان "أقاصيص وحكايات الزمن الماضي"، وهكذا كانت قصص بيرو اللبنة الأولى في بناء صرح أدب الطفولة.

¹ حنان عبد الحميد العناني، أدبه الأطفال، ط2، (عمان - الأردن : دار الفكر، 1992) ص 12 .

*البردي هو نبات مائي كالقصب من فصيلة السعديات كانوا في القدم يستعملون قشره للكتابة بعد معالجته.

² ينظر: عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن (د.ت)، ص 93.

³ موفيق رياض مقداي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، العدد 392، 2010 م، ص 20.

وهناك شاعر فرنسي آخر كان معاصرا "لبيرو" خاض في مجال الكتابة للأطفال، هذا الشاعر هو جان دي لافونتين "Jean de La Fontaine" (1621 م/ 1695 م)، فقد قدّم قصصا وحكايات خرافية للأطفال على ألسنة الحيوانات والطيور في قالب شعري مميز أكسبه قاعدة جماهيرية واسعة، ولكن هذا لم يمنحه فضل الريادة في نشأة أدب الطفولة، واعتبرت قصص تشارل بيرو التي استقاها من التراث الشعبي الفرنسي الانطلاقة الحقيقية والفعلية لهذا الأدب.¹ وبعد فرنسا ظهر أدب الأطفال في إنجلترا، وقد كان في بدايته أدبا يغلب عليه النصيح والإرشاد في أسلوب يخلو من الإثارة والتشويق والخيال، لذا فإنه لم يلق قبولا لدى الأطفال، ولكنه لم يلبث كثيرا على هذه الحال، فسرعان ما بدأ في الانتشار خاصة بعد أن قام روبرت سامبر "Semper Robert" سنة 1719 م بترجمة "حكايات أمي الإوزة"، الأمر الذي أعطى دفعا قويا لظهور أول إصدار موجه للأطفال وهو كتاب "الجيب الرائع الصغير" الذي نشره جون نيوبيري "John Newbery" سنة 1744 م، وقد لاقى هذا الكتاب استحسان الأطفال لاحتوائه على عدد من القصص والأساطير الشيقة والمفيدة.

ثمّ جاء بعد نيوبيري عدد لا بأس به من الكتاب الذين برعوا في مجال الكتابة للأطفال، ولعلّ أشهر هؤلاء الكتاب: ماريا إدجوورث "Maria Edgeworth" والتي عدّت أحسن راوية لحكايات الأطفال، والكاتب تشارلز لامب "Charles Lamb" الذي عرف بأسلوبه المسلي والممتع، ولويس كارول "Lewis Carroll" صاحب أشهر مجموعة قصصية باللغة الإنجليزية، وهي "أليس في بلاد العجائب" وقد نشرها سنة 1865 م.²

أما في إسبانيا فقد بدأ الاهتمام بأدب الطفل -خاصة في مجال القصة- مع ظهور مجلة (جازيتادي لونيون) سنة 1788م، ومن كتاب القصة الطفلية "سيسيليا بوهل" و"سلفادور باثولوزي". ولم تكن بالنوعية في أدب الأطفال إلا منذ عشرين سنة³، حيث لم تتطور القصة الطفلية في إسبانيا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن الذين احتلوا مكانة كبيرة في أدب الطفل الإسباني الروائية "أنا ماريا ماتوت"، ومن قصصها "بلاد الأردوزا" و"الجرادة الخضراء".⁴

وفي ألمانيا خصّص الأخوان يعقوب ووليم جريم "Jacob – William Grimm" كتباً للأطفال، وأشهر ما صدر لهما في هذا المجال مجموعة قصصية بعنوان "حكايات الأطفال والبيوت" سنة 1812 م، وقد ترجمت هذه المجموعة إلى عدد من اللغات الأوروبية، وأهم ميزاتها أنها تدون الحكاية كما يحكمها الشعب دون إضافات تشوّهها، ودون اللجوء إلى الرموز أو اصطناع الحكم

¹ ينظر: الربيعي بن سلامة: من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ط 1، دار مداد يونيفرسيتي بريس، قسنطينة، 2009 م، ص 39.

² رافع يحيى: تطور أدب الأطفال العالمي، مقال إلكتروني، نقلا عن موقع: maqalat/2/2.htm، 15.12.2015، ص 1.

³ محمد مرتاض، من قضايا أدب الأطفال، دراسة تاريخية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، (د.ت)، ص 19.

⁴ الجيلالي خلاص، أدب الأطفال في الدنمارك، مجلة المجاهد الأسبوعية، الجزائر، ع 1452، جوان 1988م، ص 54.

الخفية"¹، وفي القول تأكيد على أنّ أدب الطفولة الناجح هو الأدب الذي جعل من الموروث الشعبي مادته، ومن البساطة والتشويق أسلوبه.

كما اشتهر في الدانمارك الكاتب هانز أندرسون "Hans Anderson" المعروف بكثرة تجواله في مختلف بلدان العالم سعياً منه لطلب المعرفة واكتساب التجارب، ويذكر المؤرخون بأنّ أدبه: "نبع مما كان يقصّه عليه أبوه صانع الدمى الخشبية من قصص دنماركية شعبية، ومما قرأ في ألف ليلة وليلة"²، وقد اتسمت كتابات أندرسون بالواقعية والنزعة الإنسانية.

وبالنسبة لروسيا فلم تكن هي الأخرى في منأى عما يحدث في الدول الأوروبية، فقد عرفت الساحة الأدبية الروسية ظهور ثلّة من الكتاب الذين كان لهم بالغ الأثر في تطوير أدب الطفولة، ولعلّ أشهرهم على الإطلاق الشاعر الكبير إيفان كرييلوف "Ivan Kirillov" الذي اشتهر بالكتابة للأطفال على ألسنة الحيوانات"³، وقد عدّه بعض الباحثين رائداً سابقاً في الأدب الروسي.

لقد امتدت العناية بأدب الأطفال من أوروبا لتشمل جميع قارات العالم، ففي أمريكا بدا تأثر هذا الأدب بالأدب الأوروبي واضحاً، ولكن سرعان ما تحولت هذه التبعية -إن جاز لنا القول- إلى تفوق، فقد خطى أدب الطفولة خطوات جبّارة نحو الرقي والتقدم كمّاً وكيفاً، يقول قاسم بن مهي: "في أمريكا ارتبط أدب الطفل أولّ الأمر بالأدب الأوروبي عموماً والإنجليزي خصوصاً، لأنّ المهاجرين إلى هذا البلد حملوا معهم كتبهم، وترجموها أو اقتبسوا منها، أو نسجوا على منوالها، فما أشرف القرن الثامن عشر على نهايته حتى انتهت مرحلة الترجمة والاقتباس والتقليد، وبدأ الابداع والابتكار والتجديد"⁴، وقد كان هذا التطور في أدب الطفولة على يد مجموعة من المبدعين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: صمويل جودريتش، فرانك توم، جيمس أوليفر كورود، وآخرون.

وأما الدول الآسيوية فقد احتفت هي الأخرى بأدب الأطفال، فاليابان مثلاً اهتمت بهذا النوع الأدبي، وأولته عناية خاصة ويعد سازايامي إيواي أول من فتح باب التأليف في أدب الطفولة، ليبدأ بذلك عهد جديد مع هذا النوع من الكتابة، فقد كثّر الإنتاج، وتعددت دور النشر والتوزيع، كما تميزت الأعمال المقدمة للأطفال بجودتها وجديتها.

وأما في القارة الإفريقية فقد كان ظهور أدب الأطفال فيها متأخراً جداً وذلك لأسباب عديدة، أولاً كون جلّ الدول الإفريقية فقيرة ومعدمة، وثانياً أنّ إفريقيا ظلت تحت وطأة الاستعمار زمنياً طويلاً ما أدى إلى تأخرها في جميع الميادين، وعلى جميع المستويات وليس في أدب الطفولة فحسب.

¹ محمد حسن بريغش: أدب الأطفال - أهدافه ووسائله، ص 65.

² موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي، ص 20.

³ الربيعي بن سلامة: من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ص 41.

⁴ قاسم بن مهي: أدب الطفل والترغيب في مطالعته، ط 1، دار العلماء، تونس، 2010 م، ص 27.

-أدب الأطفال عند العرب:

إنّ بوادر هذا الأدب لم تظهر في الوطن العربي إلاّ مع بداية القرن التاسع عشر، ولكن قد لا نبالغ إن قلنا بأنّ هذا التأخّر مثير للحيرة والاستغراب، ذلك أنّ العرب كانوا أسبق من غيرهم في الدعوة إلى الاهتمام بالأطفال والعناية بهم، فقد عرفوا في الجاهلية القصص والحكايات على ألسنة الحيوانات والطيور، كما عرفوا ما يسمى بأغاني الترقيص والمقطوعات الشعرية البسيطة، يقول محمد إبراهيم: "إنّ المتتبع لتراثنا الأدبي والدارس له، يجده اشتمل على مادة جيدة اتصلت بالطفل، وتنوعت هذه المادة بتنوع الهدف الذي أعدت من أجله، فهناك أشعار قيلت في ترقيص الأطفال ومناغاتهم"¹.

ومن هذا القول يتضح لنا أنّ أدب الأطفال عرف طريقه إلى الأدب العربي منذ القديم، وإن لم يكن بالصورة المعروفة حالياً، ولكن أكثر ما وُجد منه كان عن الأطفال ولم يكن موجهاً إليهم، وهناك فرق كبير بين ما يُكتب للأطفال وما يُكتب عنهم.

لقد حظي الطفل في المجتمع العربي القديم بمكانة متميزة جداً، وتظهر هذه العناية: "من خلال أشكال تعبيرية أدبية تتخذ الطفل محورا لها للتعبير عنه، وهي في حقيقتها نابعة من صلب الخصوصيات الاجتماعية للشخصية العربية آنذاك، وهي بذلك تتمتع بكل شروط حضورها الأدبي الجمالي والدلالي، وسنذكر من ذلك: رثاء الأطفال، ههدة الأطفال وترقيصهم، الحكايات القصيرة على لسان الحيوان، الأسطورة والخرافة"²، ولكن معظم تلك الأشكال التعبيرية كان موضوعها الطفل، ولم تكن موجهة إليه، فهي لا تدخل في إطار أدب الطفولة.

وبعد أن سطعت شمس الإسلام زاد هذا الاهتمام، فالإسلام أولى الأطفال عناية ورعاية خاصة ودعا إلى ضرورة تربيتهم وتنشئتهم على أسس سليمة، عن طريق حثهم على قراءة كتاب الله عزّ وجلّ وسماعه وتلاوته وحفظه لما فيه من أسلوب فني أدبي معجز، وهذا الأمر وحده كان كافيا ليجعل من الأمة العربية رائدة هذا اللون الأدبي، فصرخة الإسلام التي دوى صداها في كل أركان المعمورة والتي نادى فيها بأنّ الطفولة ليست مجرد مرحلة انتقالية وإنما هي مرحلة متميزة من حياة الإنسان لم يُلَق لها العرب بالآء، وكان عليهم سماعها من عند جان جاك روسو بصفة خاصة والغرب بصفة عامة، وكأنّ ما يأتي من عند الغرب هو أمر واجب التنفيذ، وما ينبع من ثقافتنا وتراثنا وجب تركه والاستغناء عنه.

ومع تأثر العرب بالغرب فإنّه من الطبيعي أن تكون بداية أدب الأطفال عندنا تعتمد في معظم الأحيان على الاقتباس والترجمة، ولا يخفى على أحد أنّ مصر كانت سباقة في ميدان الكتابة للأطفال مستفيدة في ذلك من الثقافتين الفرنسية والإنجليزية على وجه الخصوص منذ الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت، وكان ظهور هذا اللون الأدبي على يد رفاعة الطهطاوي

¹ محمد إبراهيم حوز: الطفل والتراث - مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم- ط 1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1993م، ص 24.

² عبد القادر عميش: قصة الطفل في الجزائر، ط 1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003م، ص 23.

الذي كان مسؤولاً عن التعليم زمن محمد علي باشا، فقد ترجم هذا الأخير قصصاً وحكايات للأطفال وجمعها في كتاب سماه "حكايات الأطفال"، كما قام بإدراج بعض القصص في المناهج الدراسية.¹

وبعد رفاعة الطهطاوي برزت أسماء كان لها إسهام كبير في النهوض بأدب الأطفال على غرار الشاعر محمد عثمان جلال الذي حذا حذو الطهطاوي في تأثره بالغرب، فقد قام بترجمة كثير من حكايات لافونتين في كتابه "العيون اليواظ في الحكم والأمثال والمواعظ"، وقد صاغها في قالب شعري مزدوج القافية.

أما أحمد شوقي فقد كان أول من عُني بالتأليف للأطفال باللغة العربية، فقد ألّف مجموعة من القصص الشعرية على ألسنة الحيوانات والطيور متأثراً في ذلك بما قرأه للشاعر الفرنسي لافونتين، وجمعت أشعاره في جزء خاص ضمن ديوانه "الشوقيات"، وبذلك عُدَّ أحمد شوقي مؤسس شعر الأطفال في الوطن العربي.

وجاء بعد عثمان جلال وأحمد شوقي مجموعة من رواد الأدباء الذين تطور على أيديهم أدب الطفولة، وعرف ازدهاراً كبيراً وانتشاراً واسعاً، ومن هؤلاء الأدباء: علي فكري، محمد الهراوي، محمد سعيد العريان، وكامل الكيلاني هذا الأخير الذي يعتبره كثير من الباحثين: "الأب الشرعي لأدب الأطفال في اللغة العربية، وزعيم مدرسة الكاتيبين للناشئة في البلاد العربية كلها"²، وهذا نظراً لإسهاماته الكبيرة من أجل الرقي بأدب الطفولة.

ومن مصر بدأ أدب الأطفال يعرف طريقه إلى الأدب العربي، حيث ازداد الاهتمام بالطفل والأدب الموجه إليه في كل الأقطار العربية، ففي سوريا ميلاد الشعر كان سبباً للقصة، وذلك لأن الشعر الطفلي نشأ في ظل التربية والتعليم، وكانت المدارس . ولا تزال . تثبت القصيدة في كتبها بين مواد القراءة والإنشاء والمحادثة، وهي تغري الطفل بإيقاعها الغنائي، وبالحفظ والاستظهار الحرفي أكثر من أي مادة تعليمية أخرى، فضلاً عن أن المطبوعات الخاصة بالطفل التي تُنشر بجهود خاصة، أو في دور نشر تجارية، تؤكد على أن الشعر فنياً سبق القصة في هذا الاتجاه، فقد نشرت المكتبة الهاشمية بدمشق عام 1937 كتاب "الاستظهار المصور في أدب البنين والبنات" في حلقين، لـ "جميل سلطان".

إن جميع الذين كتبوا للصغار انطلقوا من المدارس، وكان غرضهم مناهج التعليم التي تسعى إلى ترسيخ قيم تربوية مرتبطة بالقيم الروحية، ولكنها غالباً ما تقدّم بأسلوب الوعظ، وإزجاء النص، فظهر عدد كبير من شعراء وكتاب اهتموا بالتأليف للأطفال كرزق الله حسون، سليمان العيسى، زكريا تامر، عبد الرزاق جعفر، سمرروحي الفيصل، عادل أبو شنب... وآخرون كثير.

¹ ينظر: الربيعي بن سلامة، من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ص 42.

² محمد حسن بريغش، أدب الأطفال - أهدافه وسأته، ص 84.

وأما العراق فقد اهتمت هي الأخرى بأدب الأطفال وهذا الاهتمام تجسد من خلال تأسيس دائرة ثقافة الطفل التابعة لوزارة الثقافة والفنون، وقد صدر عن هذه الدائرة مجلتان هما: "مجليتي" و"المزمار" وعدد كبير من الكتب، وقد اشتهر من الكتاب العراقيين في أدب الطفولة: فاروق سلوم، كامل أدهم الدباغ، شفيق مهدي، سمير عبد الباقي، فاروق يوسف... وغيرهم. وأما لبنان فقد برز من أدباءها في أدب الأطفال الكاتبة: "كارمن معلوف" و"شريف الرس"، وقد امتازت كتب الأطفال في لبنان: "بإخراجها الفني الرفيع، وطباعتها الأنيقة، وألوانها الزاهية، وأحجامها المختلفة، وموضوعاتها المتنوعة، واتجاهاتها المتعددة".

وبالنسبة لدول الخليج ودول المغرب العربي فقد بلغ فيها أدب الأطفال مرحلة النضج والازدهار في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وكان هذا الأدب في بدايته متأثراً بأدب الطفولة في مصر وسورية، كما كان لدور النشر والمكتبات دور هام في ازدهار وتطور هذا الأدب في هذه البلدان، ففي السعودية على سبيل المثال اهتمت دور النشر مثل الشروق والصافي وغيرها بنشر أدب الأطفال قصة وشعرا ومسرحية، معتنية بالمضمون والإخراج¹.

أما في الجزائر فالحديث عن الولادة الحقيقية لأدب الطفل لم تظهر بشكل جدي إلا بعد الاستقلال، أما قبل هذا لم يحض الطفل الجزائري في هذه المرحلة بالتفتاة أقلام الكتاب لانشغالهم الكبير بالقصة التي كانت تعكس الأوضاع المزرية التي عاناها الشعب الجزائري جراء الاستعمار، لذلك تأخر ظهور هذا النوع الأدبي لأسباب عديدة منها: أ- المستعمر الذي سعى بكل الوسائل والطرق إلى طمس الهوية الجزائرية والقضاء على مقوماتها من لغة ودين وتاريخ، فقد فرض عليها حصارا خانقا جعلها مفصولة عما يحدث في الوطن العربي والعالم أجمع.

ب- انتشار الأمية والجهل بين الكبار والصغار، الذكور والإناث على حد سواء.

ج- اهتمام الكتاب والشعراء بالقضايا الوطنية والمشاكل الاجتماعية.

د- حداثة أدب الطفولة، وانعدام الكتاب المتخصصين في هذا المجال، وعدم وجود دور نشر التي تشجع على نشر هذا الأدب.

هذه العوامل وغيرها أدت إلى تأخر ظهور أدب الطفولة في بلادنا، ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أنه كان منعدما تماما، فقد كانت هناك محاولات لأعضاء جمعية العلماء الجزائريين، ضمن اهتمامهم بتعليم الصبيان والفتيان، الشيء الذي أنجز عنه آليا أخذ هذا المستوى من الأدب بالرعاية والتأليف حتى وإن كانت وسيلتهم وغايتهم تثقيف الطفل وتنشئته على فهم الأدب "الشعر" وتعاطيه، وحفظ الخطب والأقوال المأثورة².

¹ محمد حسن بريغش، أدب الأطفال - أهدافه ووسائله، ص 37.

² ينظر: عبد القادر عميش: قصة الطفل في الجزائر، ص 34.

وفي هذا القول تأكيد على أنّ أدب الطفولة في الجزائر نشأ في أحضان الحركات الإصلاحية متأثراً بإيديولوجية معينة مما أكسبه طابعاً أكثر جدية، فالشعر كانت له أهداف إصلاحية توعوية أكثر منها ترفيهية وهذا بطبيعة الحال سببه الوضع الخاص الذي كانت تمرّ به الجزائر، وكذا إيمان قادة الفكر الإصلاحي بضرورة استغلال كلّ الطاقات البشرية ومنها الأطفال في سبيل تحقيق الاستقلال.

ولعلّ أبرز أعلام جيل ما قبل الاستقلال الذين كانت لهم التفاتة لهذا الأدب نجد "محمد بن عابد الجيلالي" الذي نظم ديواناً شعرياً للأطفال كان بعنوان "الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الابتدائية"؛ وقد كتب "محمد الطاهر التليلي" أيضاً منظومات شعرية للأطفال ضمنها في ديوان سمّاه "منظومات تربوية للمدارس الابتدائية".

وممن كانت لهم محاولات في هذا الميدان أيضاً: الشاعر الكبير "محمد العيد آل خليفة" الذي كانت له مجموعة من القصائد الموجهة إلى الأطفال وفتيان الكشافة، بالإضافة إلى نص مسرحي واحد كتبه خصيصاً لهذه الفئة وهو مسرحية "بلال بن رباح"، وأمّا الشاعر محمد الصالح رمضان فقد نظم هو الآخر مجموعة من الأناشيد ذات الطابع الديني والوطني جمعها في ديوان سمّاه "ألحان الفتوة"¹

وأما بعد الاستقلال، فقد أخذ أدب الأطفال منحى تصاعدياً حيث بدأ الاهتمام بهذا النوع من الكتابة يزداد، وشيئاً فشيئاً بدأ يظهر في بلادنا كتاب حاولوا التخصص في هذا المجال، يقول عبد القادر عميش: "وأما من كتب من رعى الأدب الجزائري الحديث في هذا الشأن فصفوة أعلامه: محمد الأخضر السائحي، والطاهر وطّار، وسليمان جواد، وعبد العزيز بوشفيرات، وبوزيد حرز الله، ومصطفى محمد الغماري، وموسى الأحمد نويوات، ومحمد ناصر، ومحمد دحو، ومحمد مفلح وغيرهم كثير وقد صاغ هؤلاء كتاباتهم إما نثراً أو شعراً"²، والسبب وراء الاهتمام والعناية بأدب الطفولة راجع إلى ازدهار التعليم وكذا تفتن القائمين على الشأن الثقافي وكذا التربوي إلى أهمية بناء جيل قادر على الرقي بالأمة الجزائرية فكان أدب الطفولة أحد الوسائل المعتمدة في ذلك.

إنّهُ ومن خلال الإطلالة السريعة والخاطفة على واقع أدب الطفولة في العالم وفي الوطن العربي، يمكن لنا القول بأنّ هذا الأدب نشأ في البلدان العربية في فترات متقاربة، كما أنّه سلك طرقاً جمة، وعلى العكس من ذلك فقد رأينا كيف كانت بداية هذا الأدب في دول العالم، فالغرب انطلق من تراثه الشعبي وأبدع منه هذا اللون الأدبي الذي أضى له دور كبير في حياة الإنسان، وأمّا العرب فقد تجاهلوا تراثهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتنقيب في هذا

¹ محمد الطاهر بوشمال: أدب الطفل في الجزائر - مصطفى محمد الغماري نموذجاً - رسالة ماجستير، تخصص أدب جزائري حديث، إشراف: محمد منصوري، جامعة باتنة / الجزائر، السنة الجامعية 2009 م / 2010 م، ص 13.

² عبد القادر عميش: قصة الطفل في الجزائر، ص 34-35.

التراث، بل اكتفوا بنقل ما عند الغرب وتقديمه لأبنائهم دون تفكير في المخاطر التي قد تنجم عن هذا الأمر.

3. أهداف أدب الأطفال: حسب رأي الكثير من الباحثين والدارسين يمكن حصر أهداف أدب الطفولة فيما يلي:

1-التعليم هدف من أول أهداف أدب الأطفال فالعديد من القصص الموجهة للأطفال تحمل في طياتها كثيرا من المعلومات التي يستفيد منها الطفل بشكل أو بآخر.

2- الهدف الديني ويشمل تلقين الطفل كلمة التوحيد وترسيخ حب الله تعالى وحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتعليم القرآن، وبيان حقيقة الإنسان ومكانته في الأرض.

3- الهدف التربوي ويشمل على توجيه سلوك الأطفال وطبعهم بالطابع الاسلامي وتوسيع مجال مهاراتهم وخبراتهم الشخصية، وغرس المعاني الطيبة فيهم .

4- الهدف الخاص بالجانب اللغوي وذلك بتنمية الجانب المعرفي عند الأطفال، بإمدادهم بثروة لغوية هائلة ويتم ذلك عن طريق مخاطبتهم بلغة سهلة ومفردات بسيطة:" فاللفظة الجديدة تعني اكتشافا جديدا للطفل، وتزيل الغموض عن جانب ما من جوانب حياته، وتجعله أقدر على الفهم وعلى التعبير"¹.

5- الهدف الترفيهي وهو أهم هذه الأهداف حيث يجب ألا يخلو الأدب الموجه إلى الطفل على عنصر الفكاهة مهما حمل في طياته من رسالة سواء دينية أو تربوية أو حتى تاريخية، وهي وسيلة يستخدمها الكتاب لإيصال أهداف أخرى.

وهناك أهداف أخرى لا تقل أهمية عن هذه الأهداف ومنها:

-تنمية التفكير والذاكرة عند الأطفال، والقدرة على ربط السبب بالنتيجة.

-تنمية الأحاسيس والمشاعر والمهارات، والذوق الفني عند الأطفال.

-معالجة بعض العيوب اللفظية والأمراض النفسية عند الأطفال مثل التلعثم، والتأتأة، والخوف، والخجل من مواجهة الآخرين.

-تخليص الأطفال من الانفعالات الضارة كالعنف بأنواعه، والعدوان وغيره من الانفعالات.

-تنمية روح النقد الهادف البناء عند الطفل وتنمية قدرته على التمييز بين الجيد والردئ.

-تعليم الأطفال أشياء جديدة تساعد على فهم الحياة والتكيف معها.

-تهذيب أخلاق الأطفال بما تتضمنه النصوص الأدبية من قيم إيجابية ومثل عليا نبيلة مثل: القيم الاجتماعية وقواعد السلوك مثل: التواضع، الأخلاق، الصداقة، العدالة، الطاعة، والقيم الوطنية مثل: حرية الوطن، وحدة الأقطار العربية، والقيم الجسمانية كالطعام، والراحة، النشاط والصحة، والقيم الترويحية وتتضمن الخبرة الجديدة الإثارة والجمال، والمرح.

¹ نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط1، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر، 1986، ص 145.

-تنمية خيال الطفل وتربية ذوقه وتوجيهه للتعليم وتنمية قدرته التعبيرية وتعويدده الطلاقة في الحديث.

الجمالية: لتحقيق الجمال النفسي في سلوكه، وإنتاجه، وتذوقه. إذن، أدب الأطفال هو ذلك الإبداع الجميل والمعلم الرئيسي للطفل الجزائري ضمن الأشكال الأدبية المتعارف عليها من نشيد ومسرح ورواية وخاصة القصة التي تعتبر عالم متكامل من المعلومات والقيم الأخلاقية والمفاهيم التي تطير بالطفل بأجواء ممتعة وتحلق به في الفضاء الفسيح، فهي غذاء العقل والخيال والذوق عند الأطفال .

لذا يجب أن لا تكون القصة الموجهة للطفل هدفا في حد ذاتها، بل هي وسيلة فعالة لتحقيق الأهداف التربوية التي تساعد بدورها على تكوين الشخصية المتكاملة للأطفال من جميع الجوانب العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمانية.

فقصة الطفل جزء من عملية التربية والتعليم، تقوم بإدارتها المدرسة بمشاركة الأسرة، فهي أدب ساحر وهادف، يسحر الطفل بجماله وأسلوبه ولغته، يوسع خياله ويهذب وجدانه ويأخذه إلى آفاق مستقبلية.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حنان عبد الحميد العناني، أدبه الأطفال، ط2، عمان - الأردن، دار الفكر، 1992.
2. الربيعي بن سلامة: من أدب الأطفال في الجزائر والعالم العربي، ط 1، دار مداد يونيفارسيطي براس، قسنطينة، 2009 م.
3. عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيفهم، دارالشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن (د.ت).
4. عبد القادر عميش: قصة الطفل في الجزائر، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003م.
5. قاسم بن مهني: أدب الطفل والترغيب في مطالعته، ط 1، دار العلماء، تونس، 2010 م.
6. محمد إبراهيم حوز: الطفل والتراث - مدخل لدراسة أدب الأطفال في الأدب العربي القديم- ط 1، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 1993م.
7. محمد حسن بريغش: أدب الأطفال تربية ومسؤولية، دار الوفاء، القاهرة، 1992.
8. محمد حسن بريغش: أدب الأطفال، أهدافه وسماته، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998.
9. محمد مرتاض، من قضايا أدب الاطفال، دراسة تاريخية فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر، (د.ت).
10. نجيب الكيلاني: أدب الأطفال في ضوء الإسلام، ط1، مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع قسنطينة الجزائر 1986.
11. هادي نعمان الهيتي، أدب الأطفال -فلسفته، فنونه، وسائطه -، ط1، دار المطبوعات الجديدة 1984 .
12. هدى محمد قناوي، الطفل وأدب الأطفال ،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1994.

المعاجم:

ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صار، بيروت، 1994.

المجلات:

1. موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، العدد 392، 2010م.
2. الجيلالي خلاص، أدب الأطفال في الدنمارك، مجلة المجاهد الأسبوعية، الجزائر، ع1452، جوان 1988م.
الرسائل الجامعية:
- محمد الطاهر بوشمال: أدب الطفل في الجزائر- مصطفى محمد الغماري نموذجاً - رسالة ماجستير، تخصص أدب جزائري حديث، إشراف: محمد منصوري، جامعة باتنة / الجزائر، السنة الجامعية 2009 م / 2010 م.
المواقع الإلكترونية:
رافع يحيى: تطور أدب الأطفال العالمي، مقال إلكتروني، نقلا عن موقع 2/ 2/ maqalat/ tripol. com /acl15.
.:Htm